هما نقيض للحق، فمن اليسير ان يقنع المرء نفسه بأن وجوده واستمراره بتلك الكيفية هما الحق عينه. واشار الكاتب الاسرائيلي، يورام بيرى، الى ان اليمين الراديكالي في اسرائيل قد طوّر مفهوم جابوتينسكي وبيغن حول الحق والقوة، والذي يتلخص في عبارة «ان الحق التاريخي لا يتجسد كقوة، وانما القوة هي أساس الحقوق»؛ وان اليمين الاسرائيلي الجديد، وعلى لسان ممثله الأهم، أريئيل شارون، يتبنّى، حالياً، مقولة «الحق للقوة»[٣٦]. ولا تنحصر هذه المقولة باليمين المتطرف فحسب، بل بالقطاع الأوسع من الجمهور الاسرائيلي. فالتجربة التاريخية للقوى السياسية الاسرائيلية برهنت على ان ما يميز اليمين عن الوسط الواسع في اسرائيل، هو ان اليمين يتحدث بصوت مرتفع حول القضايا عينها التي يفكر فيها الوسط، ولكنه لا يجهر بها.

وتطرق الكاتب الاسرائيلي، عاموس ايلون، من موقع نقدي، الى الدور التربوي، الديني والعلماني، الذي عمل على تنمية نزعة تقديس القوة، وعن نتائج ذلك، فكتب: «لقد نمت، هنا، خلال سنوات، ايديولوجيا طوباوية كاذبة، اشاعها حاخامون مشهورون قدّسوا العنف، حتى ان أحدهم أشاد بـ ' فريضة ابادة شعب ' ... وفي موازاة ذلك، أُشيعت، هنا، خلال سنوات، رواية غيبية تاريخية، بحسبها ان أبطال اتسل وليحي هم الذين اقاموا اسرائيل بقنابلهم. حتى انهم هزموا، بهذه الطريقة، الامبراطورية البريطانية العظيمة». وخلص ايلون الى «ان الدمج القاتل بين النزعة الانسانية اليهودية وبين نزعة القوة السطحية تمخّضت عن ثمار متوقعة»[٣٧].

وبالمحصلة، فاذا كان سعي الشعوب والدول الى تحقيق السلام ينطلق من اعتباره ضماناً للأمن والتطور، فان القوة تحتل، في الثقافة السياسية الاسرائيلية، مكانة السلام، تقريباً، ضمن معادلة الوجود والتطور الاسرائيلي. وقد أكد وزير الدفاع الاسرائيلي الأسبق، موشي ارنس، هذا التصور الاسرائيلي، عندما قال، في العام ١٩٨٣: «ان وجودنا مرتبط باستعدادنا وقدرتنا على شن الحرب، التي تعتبر بمثابة عقد التأمين الخاص بنا»[٣٨].

الأمن أولاً

استخدمت اسرائيل، منذ البداية، مصطلح الأمن بضاعة معدّة للتصدير الخارجي. فالأعراف والقوانين السائدة، على صعيد العلاقات الدولية المعاصرة، لم تعد تتقبل، بعد الحرب العالمية الثانية، الاستخدام الكيفي للقوة، وخاصة الاستخدام العدواني، الذي يهدف الى التوسع والسيطرة على حساب الشعوب الأخرى. غير ان هذه الأعراف والقوانين الدولية تمنح كل دولة الحق في الدفاع عن نفسها ضد أي عدوان خارجي، وبالسبل المناسبة، لرد ذلك العدوان. والأمن، بمفهومه العام، هو حاجة انسانية، تتمثل في انتفاء عوامل تهديد الذات، أو الجماعة، سواء من الداخل أم من الخارج.

وقد وجدت اسرائيل في المفهوم العام للأمن ذريعة تبرّر، من خلالها، ممارسة سياسة القوة والتوسّع على حساب العرب. وكان عليها، خلافاً لكل الشواهد التاريخية، ان تقنع المجتمع الدولي بأنها مهددة على الدوام بالعدوان الخارجي، وانها مضطرة، دفاعاً عن نفسها، الى خوض صراع مستمر ضد محيطها العربي، والى رفض كل فرص السلام التي تنطوي على تراجع اسرائيل عن بعض مكاسب حروبها ضد العرب.

غير ان اسرائيل لم تكتف بالمفهوم العام للأمن، بل ضخّمت محتواه الى الحدّ الذي أصبح فيه الأمن رديفاً للوجود ذاته، وبحيث أصبح أي تهديد لأمن اسرائيل يعني تهديد وجودها بالكامل. ذكر بن ـ غوريون، في مقدمة الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل لعام ١٩٦٠، محدداً خصوصية